



بما يحدث في السودان وما يحدث في بلادهم سلبا كان او ايجابا. وامام مثل هكذا واقع التحق العديد منهم طواعية بالعديد من الاحزاب والقوى السودانية، فالبعض التحق بالحزب الشيوعي السوداني متأثرا بالشعارات ذات الطابع اليساري لتلك الايام، والبعض منهم التحق وللعديد من الاعتبارات ذات النفس الطائفي، او الاقليمي او حتى الجهوي بالعديد من الاحزاب والاتجاهات الاتحادية.

وضمن اوج صراعات مختلف التيارات السياسية السودانية خاصة بعد اعلان الاستقلال السوداني، وتشكيل حكومة الديمقراطية الاولى، التحق العديد من الارتبيين بالعديد من الاحزاب والاتجاهات السياسية السودانية. وقد كان بعضا من أولئك الذين تلقوا التعليم الابتدائي والمتوسط، وكنناج لحالة التجاذبات السياسية التي كانت قائمة في حالة الواقع السوداني آنذاك التحقوا بالصفوف الاولى، للحزب الشيوعي السوداني وحركة الاخوان المسلمين.

ومع إشتداد الصراع بين المحتل الاثيوبي وطلائع الشعب الارتري في بداية ومنتصف الستينات، اشتدت حالة مطاردة الارتبيين والتضييق عليهم من قبل السلطات العسكرية لنظام الجنرال ابراهيم عبود خاصة في الاقليم الشرقي من ناحية، وتعرضوا للإستقطابات الحادة للأحزاب الشيوعية والاتحادية وخلافهم من ناحية ثانية.

وحين تمكنت حركة تحرير ارتريا من تأطير نفسها ووضع البرنامج الذي يمكن من رسم صورة المستقبل السياسي الارتري، ويحقق اهداف الاستقلال الوطني والتحرر الاجتماعي، بدأت الحركة تعاني من هجمات العديد من القوى، سواء اطراف داخلية ممثلة في جبهة التحرير الارترية، او خارجية ممثلة في العديد من الاحزاب والاتجاهات السودانية.

وذات مساء وفي مقهى محجوب الجعلي، وهو الذي كان احد المواقع الذي يرتاده بكثرة العديد من ابناء ارتريا، التقى السيد متولي وهو احد الاعضاء السريين في الحزب الشيوعي السوداني بالصدفة، بالسيد جاد الله وهو ايضا احد المنضوين بصورة سرية بحركة الاخوان المسلمين السودانية، وقد جاء كل منهما كل وفق توجهاته، لدراسة مواقف الارتبيين تجاه الوضع السياسي السوداني، ول اذا امكن استقطاب اكبر عدد ممكن منهم في تجمعاتهم او احزابهم السياسية.

كان السيدان متولي وجادالله يعرفان بعضهما بعضا، بل هما في الواقع اصدقاء وأبناء عمومة، وكان الود بينهما متصلا، إلا ان السياسة كانت تفرق بينهم كما فرقت بين العديد من اقطاب السياسة في السودان، ومع ذلك كانوا يلتزمون بمقولة "السياسة لا تفسد للود قضية"، ويواصلون كل وفق قناعاته بالتعبير عن مواقفه وقناعاته السياسية.

وما ان استقروا في احدى طاولات ومقاعد مقهى محجوب الجعلي، وطلبوا كوبين من الشاي والماء البارد حتى بادر متولي قائلا:-

- منذ انقلاب الجنرال ابراهيم عبود وحتى يومنا هذا وانا اتعرض باستمرار، ويكاد بصورة يومية

للاعتقال والاستجواب، لا لسبب سوى الشك من انتمائي الحزبي.

رد جاد الله قائلا:-

- لقد اصبحت الاعتقالات في هذه الايام، على الرغم من ما تسببه من مضايقات، موضة يحبذها بل يرتاح لها الشيوعيون. اذ انهم يأملون من وراء ذلك الى رفع مستوى شعبيتهم التي يحاولون تسخيرها لتحقيق مصالحهم ومآربهم السياسية المتعارضة بالنتيجة ومصلحة البلاد والعباد.

تحمس متولي للرد فقال:-

- نحن لا نخفى رغبتنا بل طموحنا في تكوين دولة ال والفلاحين، ونرى بان ذلك يمكن تحقيقه برضى اكثرية الناس، والاكثرية هنا في السودان هم من الشغيلة التي ترتبط ومصحتها بمصلحة انتصار الثورة البروليتارية.

أستفزت كلمة البروليتارية جاد الله الذي رد قائلا:-

- انكم معشر الشيوعيين لا تراعون مصلحة خلق الله، فأنتم تدفعون من قبل قوى الاحاد العالمية، ولا تملكون ما يفيد الناس وهمكم فقط هو الوصول للسلطة السياسية، حتى وان تم ذلك بالتسلق على اكتاف الناس الغلابة.

واضاف قائلا وكأن الشرير يريد ان يتطير من عينيه:-

- ان الشيوعية، والعياذ بالله منها هي كفر باين واباحية فاضحة وتفكك اجتماعي. فماذا تريد اكثر من ذلك، اتحب ان تتعرض الروابط الاجتماعية بين الناس للتفسخ، ويعيش العالم الذي تحلم بتكوينه دون وازع ديني او اخلاقي.

لم يكن متولي يستغرب او يستنفر من مثل هكذا اقاويل كان يرددها خصومه السياسيين وعلى رأسهم بالطبع السيد جادالله، فقال دون ان يبالي:-

- ان مايقال عن الشيوعية والشيوعيين هو عين جهل قوى الاستغلال والاستكبار. والحقيقة هو اننا لسنا بملحدين، بل الكثيرون منا يؤدون واجباتهم الدينية مثلهم مثل الكثيرين من المتدينين، بل نستطيع ان اقول جازما بان بعض الشيوعيين هم اكثر ورعا وتقوى من الكثيرين من اتباعكم الذين يتشدقون بالدين علنا، ويمارسون كافة انواع الرذائل سرا.

ما ان إشتد واحتدم النقاش بين الطرفين حتى خشي محبوب الجعلي ان لا يكونوا عرضة لمراقبة البوليس السري وبعض المتلصصين، فقام من مقعده وتوجه اليهم مسرعا وهو يحثهم على الهدوء والتريث، ليقول:-

- الم يكن من الاجدر بكم مناقشة توجهاتكم ومواقفكم السياسية في اماكن مناسبة؟ الا توجد لديكم اماكن او بيوت آمنة تتستر على تهجمات بعضكما بعضا، بدلا من التناطح والصراخ امام الناس؟.

واضاف قائلا:-

- اننا في السودان نعيش حالة مخاض سياسي، فهناك الممارسات القاسية التي يقوم بها نظام عبود، بجانب وجود ل السياسي الهادف والموجه لتحقيق وخلق نظام ديمقراطي يتعايش فيه الشيوعي مع الاخونجي، والشمالى مع الجنوبي بأمن وامان وعلى قاعدة الاحترام المتبادل والمساواة بين السودانين.

صمت الجميع، الا ان متولي والذي هو اكثر تعقلا واقل تهورا من جاد الله، اخذ مبادرة الحديث قائلا:-  
- من الافضل لنا بعد تلك المشادة الكلامية، ان نتطرق لبعض القضايا ذات الاهتمام المشترك لجميعنا...

تدخل محجوب الجعلي دون ان يعطى الفرصة لمتولي بانهاء ما كان يود قوله، فقال على عجلة:-  
- ارى بان من المهم الالتفات الى قضية اساسية تهمننا جميعا، الا وهي القضية الارترية وتطوراتها الراهنة.

اتفق الكل على ذلك واعطي المجال لمحجوب حيث قال:-

- نحن نهتم بارتريا بمنل اهتمامنا بالوضع السياسي لنا هنا في السودان. فارتريا قريبة لنا سواء من الناحية الجغرافية او الاجتماعية وحتى السياسية. وان اي حدث يتم هنا في السودان ينعكس منطقيا في ارتريا، وبنفس المستوى ما يحدث في ارتريا ينعكس في السودان.

تدخل متولي فقال مستفسرا:-

- ماذا تعنى بان ما يحدث في ارتريا ينعكس في السودان؟

رد محجوب الجعلي قائلا:-

- اعني بان ما يهم السودان يهم ارتريا، ومايجري في ارتريا ينعكس شئنا ام ابينا على السودان. فالعلاقة بيننا كسودانيين وارتريين هي علاقة تواصل وترايط. ليس هذه فحسب بل ان العلاقة والترايط بين شعوب القرن الافريقي بدءا من الصومال وانتهاء بالسودان، هي علاقات تجانس تطغى عليها المصالح الاقتصادية والتجارية.

تدخل جادالله قائلا:-

- لاشك بان هناك علاقة ترابط بيننا وبين الارتريين، بل ان هذا الترابط يمتد ليشمل كما ذكر كل منطقة القرن الافريقي. لكن هذا لا ينفي ان نحدد مع من يمكن ان نوطد علاقاتنا بهدف تعزيز وتطوير العلاقات البينية.

اخذ محجوب الجعلي ناصية الحديث فقال:-

- ارجوا ان توضح اكثر، لانني اشم من كلامك، ما يعني بانك تشكك في القائمين او المهتمين بل السياسي في ارتريا.

رد جادالله وبصورة تتم عن معرفة سابقة قائلاً:-

- ان من يتبؤ العمل السياسي وينشط بصورة ملحوظة في هذه الآونة، هو ما يعرف بتنظيم حركة تحرير ارتريا. وهذه الحركة ووفقا لكل المعطيات هي حركة يسارية مسيطر عليها من قبل الحزب الشيوعي السوداني.

تدخل متولي قائلاً:-

- ان الحزب الشيوعي السوداني مثله مثل بقية الاحزاب الاتحادية، وبصرف النظر عن الذي يتبؤ صدارة ل السياسي في ارتريا او ينشط فيها، يتعاطف مع التطورات السياسية الجارية في ارتريا بصورة عامة. ومن هنا فان علينا اذا اردنا مصلحة الشعب الارتري ان لا نتدخل في الشؤون الداخلية الارترية، او في الخلافات او قل المشاحنات التي نلاحظها بين فصلي الثورة الارترية واعني بهما حركة تحرير ارتريا وجبهة التحرير الارترية.

لم يتريث محجوب الجعلي فأسرع قائلاً:-

- حسنا، ان مشكلة الساسة في السودان هو عدم الاتفاق فيما بينهم. فكيف يستقيم ان يكون لهم موقف مشترك حيال ما يجري من تطور في ارتريا؟

واضاف قائلاً:-

- انا لست عضوا في الحزب الشيوعي السوداني مع انني احترم الاخوة عبدالخالق محجوب، وعض عبدالرزاق، واحمد سليمان وغيرهم، كما احترم واقدر ايضا العديد من قيادات الاخوان المسلمين ومن ابرزهم الاستاذ الكبير الصادق عبدالله عبد الماجد. الا انني ارى بان على الطرفين الشيوعي والاخونجي النأي بأنفسهما في خوض صراع فيما بينهما فيما يتعلق بارتريا. فالموجود في ارتريا هو صراع من اجل حق تقرير المصير في الحرية والاستقلال الوطني. اما ما يجري في السودان فانه لا يتعدى ان يكون صراعا بين مختلف القوى السياسية السودانية من اجل الوصول الى السلطة السياسية، واجبار الآخرين بالقبول بما هو سائد سواء

تمكن الحزب الشيوعي من السيطرة او تمكن الاخوان او غيرهم من السيطرة على مقاليد الامور.

الا ان متولي اراد ان يوضح موقف حزبه من القضية الارترية ويزيل اي لبس قد يطرأ على العلاقة الارترية السودانية فقال:-

- نحن اعضاء في حزب شيوعي سوداني يؤمن ويلتزم بالمبادئ الاشتراكية، وبالنظرية الماركسية اللينينية، وانطلاقا من هذا الايمان فاننا نؤيد وندعم مايجري في ارتريا، ونسعى دون اي خجل او وجل في ل على نشر مفاهيمنا الفلسفية سواء في السودان او ارتريا، او اي بقعة في العالم.

تدخل محجوب الجعلي مستنفرا وموجها كلامه لمتولي ليقول:-

- الوضع القائم في ارتريا لا يعنى فقط اعضاء حركة تحرير ارتريا، فإذا كنتم تقصدون بان علاقتكم ببعض من اقطاب حركة تحرير ارتريا تخولكم بالتحدث نيابة عن كل الارتريين، خاصة المناضلين منهم وحملة السلاح، او تسعون لفرض وصايتكم على الحركة الارترية فانتم شئتم ام ابئتم في الموقف الخاطيء.

واضاف قائلا:-

- نصيحتي للشيوخيين وغير الشيوخيين هو عدم اقحام صراعاتهم السياسية والحزبية الى المناضلين الارتريين. عليهم فقط واجب التعاون والتعاقد مع كافة الارتريين بعيدا عن سياسة الاستقطاب او سياسة "الخيار والفقوص" كما يحلو لاقطاب السياسة في السودان ممارستها.

في الوقت الذي كان فيه كل من متولي وجاد الله يتناطحان، ويحاول كل منهما افحام الآخر، جاء ادريس بصورة مفاجئة. وما ان القى عليهم تحية السلام حتى رحبوا به، وطلبوا له كوبا من الشاي وآخر من الماء البارد. وما هي لحظات حتى قام محجوب الجعلي بتعريفهم بصديقه ادريس.

حاول متولي الانتظار الا انه عدل عن ذلك فاسرع ليقول:-

- سبق وان اخبرني بعض الرفاق عن نضال حركة تحرير ارتريا، وعن بعض قادتها الذين كانوا اعضاء في الحزب الشيوعي السوداني، ومن ضمنهم السيد محمد سعيد ناود. كما كنت اسمع عن وجود بعض من الارتريين الذين ينشطون لصالح الثورة الارترية، واعتقد بأنني سمعت باسم ادريس الذي اراه الآن امامي وانا سعيدا بذلك. وطالما تم التعارف بيننا اود اعطائنا صورة موجزة للتطورات الراهنة في ارتريا.

ارتشف ادريس بعضا من محتويات كوب الشاي الموضوع امامه، واغتتم الفرصة وشرع في شرح اوضاع وطنه قائلا:-

- الاوضاع في ارتريا مضطربة بفعل حالة الغليان، وازدياد نشاطات القائمين بل السياسي الارترى المعادي لطموحات المستعمر الاثيوبي. فكلما قام الثوار بخوض معركة او معركتين حتى تتفاقم ردود فعل الاثيوبيين، الذين يقومون على الفور بالاعتقال العشوائي وممارسة التعذيب بحق من يقع في ايديهم من المواطنين، بل قتل كل من يشتبهون فيه بانه من الداعمين للثورة.

واضاف قائلا:-

- اخذ النضال في ارتريا منعطفا كبيرا، فهناك تدفق لعدد كبير من الشباب الارترى الى مناطق الارياف والقرى الارترية النائية، ليس هذا فحسب بل هناك ايضا تدفقا كبيرا من المنخرطين في السلك العسكري السوداني وبعض الموظفين الارتريين العاملين في خدمة الحكومية السودانية للالتحاق بالثورة والثوار.

استمع الكل باهتمام لما قاله ادريس، وقد كان متولي اكثر المهتمين بوضع الارتريين في السودان فقال سائلا:-

- كيف تسير اموركم هنا في السودان، هل لازلتم كما كنت اعرف من بعض الرفاق بانكم تتعرضون لبعض عمليات الاعتقال، والزج في السجون لايام بل لاسبوع، من قبل الطغمة العسكرية الحاكمة في السودان؟.

رد ادريس قائلا:-

- نحن لانزال نتعرض باستمرار للاعتقال، وتتم المداهمات الليلية على منازلنا دون وجه حق، ودون مراعاة لحقنا الانساني في العيش بكرامة. ليس لسبب سوى اننا نؤيد نضال شعبنا في ارتريا الموجه اساسا ضد الحكم الاستعماري الاثيوبي القائم في بلادنا، وهذا مالايرضاه العسكر هنا عندكم في السودان.

واضاف قائلا:-

- على الرغم من معاناتنا من تصرفات وامزجة وتقلبات الحكومة السودانية، فإننا واعتبارا للاخوة والمصالح المشتركة التي تربطنا، فاننا لانزال نفرق بين الصالح والطالح. وان ماتعرضنا له من مضايقات خاصة بعد ان قام الفريق ابراهيم عبود بانقلابه المشهور في

نوفمبر من عام 1958م، لم يكن سوى ضريبة فرضت علينا من اجل ارضاء الامبراطور هيلي سيلاسي.

تدخل جاد الله وكأنه يريد ان يكفر عن الكلام الذي قاله بخصوص حركة تحرير ارتريا التي وصفها بصنيعة الحزب الشيوعي السوداني فقال:-

- لم تختصر ممارسات الفريق عبود العدائية تجاه الارتريين وحدهم، بل ان تلك الممارسات خاصة في السنوات الخمس الاولى لحكم العسكر، طالت العديد من ابناء جاليات البلدان المجاورة للسودان مثل الاثيوبية، والتشادية، والانغولية وغيرهما، ولم تتوقف حتى عن ابناء السودان الذين زج بهم دون ذنب في المعتقلات والسجون.

واضاف قائلاً:-

- الا ان التعاطف مع الشعب الارتري هو تعاطف كبير. فنحن كأخوان مسلمين لنا علاقات واسعة بالعديد من الارتريين الذين يشاركوننا مفاهيمنا وتوجهاتنا الاسلامية، دون ان نتجاهل احترام التعدد السياسي والطائفي الذي يسيطر على ارتريا والارتريين. ولإظهار تعاطفنا فقد قمنا مع الآخرين بتشكيل العديد من الجمعيات لمناصرة الشعب الارتري وقضيته. وقد كنت شخصيا ولازلت احد المتعاطفين مع ارتريا.

انتظر متولي حتى يفرغ جاد الله من كلامه حيث اضاف قائلاً:-

- نعم نحن نؤيد ونتعاطف مع القضية الارترية. فعندما قام نظام الجنرال عبود بتسليم بعض اعضاء حركة تحرير ارتريا لنظام الامبراطور هيلي سيلاسي، قامت قائمة الاتحادات الاهلية والمهنية ووجهت النداءات وارسلت العديد من برقيات الاحتجاج، وحثت نظام الجنرال على احترام ارادة الشعب الارتري في الاستقلال الوطني والتحرر الاجتماعي، مثله مثل شعوب العالم قاطبة.

تنبه الحضور على ان الوقت قد غافلهم، فودعوا بعضهم البعض على امل اللقاء في اقرب فرصة سانحة.

## (2)

في احدى امسيات خريف العام 1963م كان ادريس غارقا في تفكير عميق، لم يفق منه إلا على صباح صديقه محبوب الذي نهره قائلاً:-

- ماذا يا ادريس استذكر الله ولا تتبع عقلك للشيطان.

انتفض ادريس عندما سمع صوت صديقه محبوب الجعلي مجلجلاً فقال على الفور:-

- استغفر الله ، الله يخزي الشيطان فهو الذي اخذني بعيدا عن الواقع الذي انا فيه. لقد افزعتني

ياخي كما يفزع الذئب احدى الخرفان الهائمة على وجهها.

كاد محبوب الجعلي ان يكشر عن انيابه ويقلب شفثيه بعصبية واضحة وهو يقول:-

- كان الاجدر بك ان لا تصف ما قمت به وكأنه عمل حيواني لا يختلف عن ما بدر من

الذئب تجاه الخروف.

استدرك ادريس مدى سوء وقع الكلمات التي تفوه بها تجاه محبوب الجعلي فأسرع لتلطيف الجو عندما قال:-

- لاتأخذني فأنا لم اسعى لتشبيهه ما قمت به وكأنه عمل حيواني، بل انني قلت ما قلته نتيجة

للارتباك الذي سيطر علي عندما قمت بإيقاظي. ومع ذلك فانني اعتذر مرة اخرى، واعتبر ما

قلته زلة لسان، والمسامح كريم ياخي.

انفجرت اسارير محبوب الجعلي وقال على الفور:-

- لابس يا ادريس. لكن قل لي بماذا كنت تفكر ولماذا السرحان؟

رد ادريس قائلاً:-

- كنت افكر في مستقبل ل السياسي النضالي في ارتريا.

تساؤل محبوب الجعلي قائلاً:-

- وماذا في الامر؟، ماهو الجديد الذي طرأ والذي يجعلك تسرح بخيالك الى عالم لا يعلم عنه

سوى الخالق الرازق سبحانه وتعالى؟

اصلح ادريس قعدته على الكرسي وقال:-

- انني قلق من التطورات القادمة. فأنا وان لم تكن لي معلومات مؤكدة، او حتى ان لم استطع

ان اخمن بقادم الايام، فأنا احس بانزعاج عندما افكر في مستقبل البلاد.

استغرب محبوب الجعلي وقال على الفور:-

- اترك منك التحدث بالالغاز وهات ما عندك حتى نكون على بينة، وبلاش لف ودوران.

تتحنج ادريس واخذ رشفة من كوب الشاي الذي طلبه وسرعان ما قال:-

- يقال بان هناك خلاف او صراع نشب بين بعض من العسكريين الارتريين الذين قدموا من

السودان، وبين بعض من كانوا يمارسون عمليات الثأر المتبادلة فيما بينهم، ويستولون على

مواشي وارزاق المناوئين لهم.

كاد قلب محبوب الجعلي ينفطر من وقع الخبر فاسرع ليقول:-

- انا شخصيا لا يمكنني ان اجزم بالقول بوجود او اندلاع خلاف او ماشابه من صراع بين

الملتحقين بالثورة سواء من العسكريين الذين قدموا من السودان، او الذين كانوا يمارسون

نشاطات مشروعة او غير مشروعة قبل التحاقهم بالثورة. والسؤال الذي يطرح نفسه ويحتاج

الى اجابة صادقة، هو متى وجد الناس الوقت لخوض صراعات جانبية بينهم؟. ومع ذلك لا

استبعد ان يكون هناك سوء تفاهم او حالة عدم تقدير لبعض الامور، خاصة اذا سلمنا بان

مجتمعاتنا في السودان وارتريا تستند في علاقاتها الاجتماعية على المفهوم القبلي ذو النزعة

العدائية، ولا تراعى حرمة اي خلاف.

تعجب ادريس لعمق واهمية ما سمعه من صديقه محبوب الجعلي فقال معقبا:-

- نعم لم يكن في ارتريا وهذا ملاحظناه، اطارا سياسيا عاما يمكن من جمع العديد من الارتريين

في اطار واحد متجانس. وقد علمتنا التجربة السياسية الارترية في الاربعينات، بان علاقات

واقع التخلف الاجتماعي (العشائرية، الاقليمية والطائفية) هي التي كانت سائدة ومسيطر على

المجتمع الارتري. ومن هنا فانني لا استبعد ان تنشعب خلافات او صراعات لاتفه الاسباب،

او حتى لعوامل ذاتية بحتة.

واضاف قائلا:-

- كانت تلك العلاقات سائدة في المجتمع الارتري دون ان تكون عيبا او أشياء غير مألوفة.

وهي لا تختلف في مراميها عن تلك العلاقات القائمة في مجتمعات تتعدم فيها علاقات الند

والمساواة.

تدخل محبوب الجعلي ليقول:-

- لاشك حتى وان كان الاختلاف او حتى الصراع بين مختلف التجمعات جائزا في مراحل البدء

ونمو الوعي، فان من غير المفيد او من غير المستحسن ان تغطي الخلافات خاصة تلك

التي لها طابع التخلف الاجتماعي، على واقع حركة الثورة في ارتريا.

واضاف قائلاً:-

- كلنا نذكر او ندرك مدى خطورة التوجه الاستعماري الذي قام به الامبراطور هيلي سيلاسي. فما ان سمحت له قوى الاستكبار، وبصورة خاصة دول الغرب الاستعمارية، بالسيطرة على مقاليد الامور في اثيوبيا وارتريا، فانه عمل بدأب على مصادرة الحق الارتري المشروع في الحرية والاستقلال، مستغلا بذلك عوامل التخلف الاجتماعي التي كانت مسيطرة بدورها على واقع المجتمع الارتري، وهذا ما نجح فيه بامتياز.

تحمس ادريس وارديف قائلاً:-

- لاشك بان النظام في اثيوبيا، وبعض اقطاب السياسة في السودان المرتبطين بالمعسكر المعادي لحركة تطلع الشعوب المستضعفة ومن بينها الشعب الارتري، كانوا ولازالوا يسعون الى تشويه حقيقة الثورة الارترية وفصيليها المناضلين حركة تحرير ارتريا وجبهة التحرير الارترية وذلك من خلال تضخيم مايقال عن وجود خلافات وصراعات داخلية بين صفوفهما. اراد محبوب وادريس المزيد من الشاي وماهي سوى لحظات حتى تحقق لهما طلبهما، فقال ادريس وهو يستمتع بمظهر الشاي المسكوب على الكوب الزجاجي:-

- لاشك بان الممارسات الطائفية وتلك المرتبطة بواقع التخلف الاجتماعي الارتري لعبت دورا سلبيا بل معيقا، وبالمقابل وللأسف الشديد لم تلعب القوى السياسية الارترية واحزابها منذ بداية الاربعينات وحتى الحاق ارتريا بالامبراطورية الاثيوبية اي دور ايجابي، بل ساهمت بشكل كبير على اعاقا مسيرة الوحدة الوطنية. واخشى ماخشاه ان لا ينطبق ذلك على المجموعات التي قيل عنها بانها متصارعة او مختلفة في حركة الثورة الارترية.

واضاف قائلاً:-

- علينا نحن معشر الارتريين ان نعي الدروس المستوحاة من فترة حق تقرير المصير. ففي تلك الفترة لعبت الممارسات الطائفية التي سيطرت على عقول وأفئدة اللذين كانوا يقودون ل السياسي الارتري، سواء كانوا في حزب الأندنت او احزاب الكتلة الاستقلالية، دورا سلبيا ادى الى النيل من امكانية مواجهة عوامل الفرقة والتمزق. والتاريخ يثبت لنا، بان لامستقبل لاي عمل سياسي اذا لم يكن مصاحبا للوحدة الوطنية الارترية، وهذا ما يجب ان ندركه نحن والجيل القادم قبل ان يقع الفأس على رؤوسنا جميعا.

كان ادريس صادقا تجاه ماكان يخشاه، ويتمنى عدم حدوثه مثل ظهور انقسام داخل الجسم المقاتل للثورة الارترية. وقد كان مقتنعا بان النهج العشائري الطائفي الارتري قد لعب دورا كبيرا في عدم تحقيق

الاستقلال الوطني الارتري. وهذا ما استفاد منه الامبراطور هيلي سيلاسي ما قبل واثناء عملية الحاق ارتريا بالامبراطورية الاثيوبية.

ادرك محجوب الجعلي بان صديقه ادريس دخل مجددا في سرحانه فقال من اجل تنبيهه:-

- اراك عائدا لما كنت فيه من سرحان.

تتبه ادريس فقال:-

- نعم ... نعم بلامؤاخذه، فأنا بالفعل لا اخفى عليك فقد كنت شاردا الذهن للحظات، لكن اعدك

بانني سوف اكون يقظا بوجودك.

ضحك محجوب واطهر ارتياحه ليقول:-

- كلنا نسرح ... البعض منا يسرح في قضايا وطنية مؤرقة، والبعض منا نتيجة للسرحان

يصاب بالأرق لأتفه الاسباب، والبعض الآخر منا ايضا تسكنه الهواجس والظنون، ويسكر

من زيبية كما يقال المثل عندنا نحن ابناء الجعل.

تدخل ادريس وهو يريد العودة الى الموضوع الذي اثير فقال:-

- كنت قد تطرقت في حديثي للخلاف والصراع الذي يقال بانه بدأ ينفجر بين رفاق السلاح...

وقبل ان يكمل ما اراد قوله، تدخل محجوب الجعلي ومن اجل معرفة المزيد حول ما يقال عن حدوث خلافات حادة، ودون ان يضيع الوقت قال:-

- نعم ... نعم لقد تطرقنا لظهور خلاف بين ابناء الثورة في ارتريا. وقد يكون من المهم

الاستمرار فيما اثراه والوصول الى الخلاصة المرجوة.

رد ادريس دون ان تظهر عليه امارات الانزعاج من مقاطعة محجوب الجعلي لكلامه فقال وهو متأكدا من ما يمكن ان يقوله:-

- استبشر الكل بتكوين حركة تحرير ارتريا، كما استبشر ايضا بظهور تنظيم جبهة التحرير

الارترية، خاصة بعد ان علم القاصي والداني بان التنظيم الجديد يتبنى هو ايضا نهج الكفاح

المسلح طريقا للتحرير في عملية مواجهة الاستعمار الاثيوبي واتباعه من الارتريين.

في الوقت الذي كان ادريس يواصل حديثه، لاحظ بمحض الصدفة يد احد معارفه ممدودة اليه، وماهي سوى لحظات حتى ادرك بان تلك اليد لم تكن سوى يد عمر اسماعيل المنتصب امامه. وبعد العناق وتبادل القبل على الخدود والايدي، والاستفسار عن الاهل والاصدقاء بادر ادريس قائلا:-

- انك تغادرننا دون اعلام، وتأتي الينا بعد غياب طويل حتى لا نعود نتذكرك. اين كنت طيلة

هذه المدة بالله عليك؟.

رد عمر اسماعيل الذي بدت عليه امارات التعب والارهاق، بانه اتى الآن ولم يمض على قدومه الى كسلا من منطقة أبو جمل القريبة من الحدود السودانية المحاذية لمدينة كسلا سوى ساعات معدودات سيرا على الاقدام من ارتريا الذي بدأ فيها موسم الخريف مبكرا لترتوي الارض وينبت الزرع والضرع بصورة مرضية. ودون تفكير مسبق اقترح محجوب الجعلي وهو يوجه كلامه لعمر اسماعيل قائلاً:-

- يبدو انك مرهق، وحبذا لو توجهت معنا الى المنزل لتستحم وتأخذ قسطاً من الراحة ريثما يتم تجهيز الطعام، ونواصل دردشتنا.

وافق عمر على الاقتراح، وأيده في ذلك ادريس وتوجهوا الثلاثة الى منزل محجوب الجعلي. وبعد ان قضى عمر حاجته في الحمام واغتسل وتوضأ، وقاموا بأداء صلاة المغرب جماعة. بادر ادريس قائلاً:-

- اننا على احر من الجمر لمعرفة آخر اخبار البلد، قالها وهو يبتسم.

رد عمر بعد ان فهم القصد قائلاً:-

- الاخبار كثيرة ومتنوعة، فما هو الذي تريدون سماعه او معرفته؟

اخذ ادريس الامر على محمل الجد وسرعان ما قال:-

- الاخبار متضاربة عندنا هنا في كسلا ومن ابرزها ما يقال عن حدوث اضطرابات وخلافات بين من التحقوا من السودان خاصة العسكريين، ومن كانوا مع حامد ادريس عواتي.

اضطر عمر اسماعيل للقول:-

- كلنا نعلم تدفق العديد من الناس الى ريف ارتريا بهدف الالتحاق او الانضمام الى حامد

ادريس عواتي، ومن ابرزهم العديد من العناصر الارترية التي كانت تعمل في الجيش

السوداني، والعديد من عناصر البوليس الارتري، بالإضافة الى بعض الافراد اللذين كانوا

منخرطين في عمليات الثأر ذات الطابع العشائري والقبلي التي كانت تتم بين بعض من

عشائر البني عامر والنارا، ممن يعرفون بعصابات الشفتا او قطاع الطرق.

تدخل محجوب الجعلي مستفسراً:-

- كيف ولماذا ظهرت الخلافات او لنقل بصورة واضحة ماهي اسباب تلك الصراعات، ومن

الذي يقوم بإثارتها، ومن هو صاحب المصلحة في ذلك؟

رد عمر اسماعيل الذي كان على دراية بما حدث، خاصة وانه هو القادم الوحيد للتو من ارتريا، ولم

يمضي عليه في كسلا سوى سويغات قلائل:-

- ان القيادات التي قيل بانها شكلت جبهة التحرير الارترية، لم تكن للأسف الشديد متخلصة

من الارث الاستبدادي التميزقي الذي ورثته من واقع العمل السياسي في نهاية الاربعينات.

فما ان تبوأ تلك القيادات المراكز الاساسية، حتى نشب خلاف حاد بينها وبين قيادة حركة تحرير ارتريا التي اتهمت زورا وبهتانا بالة للحزب الشيوعي السوداني وبعض دوائر الاستخبارات السودانية والبريطانية. ولم يمض الوقت طويلا حتى شب خلاف في اوساط قيادات جبهة التحرير الارترية التي كانت تنبؤ مراكز سياسية في العهد الفيدرالي مثل السيد ادريس محمد آدم، وبين بعض المتقنين الشباب من امثال السيدين عثمان صالح سبي وعثمان ادريس قلايدوس وآخرين. ووفقا لما قيل فان لب الصراع بين مختلف تلك القيادات كان مبنيا على ارضية عشائرية مناطقية.

تدخل ادريس بهدف الحصول على اكبر قدر من المعلومات فسأل:-

- وماذا عن العناصر العسكرية التي التحقت من الجيش والبوليس؟

رد عمر اسماعيل قائلا:-

- لم يكن كل الذين التحقوا بعيدين او متخلصين من تأثيرات واقع التخلف الاجتماعي الذي

صاحب مسيرة ارتريا السياسية منذ بداية الاربعينات.

واضاف قائلا:-

- ما ان تدفق السلاح بصورة او اخرى الى المنضوين في جبهة التحرير الارترية حتى بدأ كل

طرف من اطراف الصراع في اتخاذ مايراه مناسبا من قرارات، دون اى وفاق او تراضي. وبدأ

كل طرف يعتقد بانه الاصلح في قيادة الثورة. ومن هنا كان الخلاف والصراع، ولم يكن

المتضرر في كل ذلك سوى الشعب الارتري.

دقت ساعة الرحيل، وفي الصباح الباكر ودع عمر اسماعيل صديقه محجوب الجعلي وتوجه كل منهما

الى حال سبيله.

### (3)

استقر حقوص ارعدوم منذ نهاية الخمسينات مع اسرته الصغيرة في مدينة خشم القرية، وهي التي لا تبعد عن مدينة كسلا لاكثر من 80 كم. وفي هذه المدينة التي تفتش نهر عطبرة، يسكن العديد من ابناء ارتريا، البعض منهم استقر فيها منذ القدم واصبح جزءا من نسيجها الاجتماعي، والبعض مثل حقوص ارعدوم الذي اتى اليها هربا من حالات الاضطهاد والقهر التي كانت تمارس بحق الارثريين، خاصة بعد الغاء الاتحاد الفيدرالي بين ارتريا واثيوبيا.

احب حقوص ارعدوم مدينة خشم القرية وتأثر بحالتها الاجتماعية. وقد لعبت العلاقات العامة التي كونها مع العديد من الاصدقاء الذين كان يعتبرهم بمثابة الاشقاء له، دورا كبيرا في انضاج شخصيته الاجتماعية، واصبح يعتبر نفسه جزءا لا يتجزء من النسيج الاجتماعي لمجتمع قرية بل مدينة خشم القرية. والواقع فان مدينة خشم القرية والتي تقع تضاريسها ضمن سهل البطانة الغني في تربته الطينية السمراء، كانت ولا زالت من اجمل واحلى مدن اقليم السودان الشرقي. ومن ابرز ما يبهز المرء هو ان المدينة ترقد بكل أمان وأمن على احضان نهر عطبرة الذي ينبع من ارتريا ليصب في النهاية مع العديد من الروافد في نهر النيل العظيم.

كان حقوص ارعدوم احد مشاهير منطقة خشم القرية. فهو ومنذ العام 1962م يعمل في الشركة الايطالية التي تقوم بتشبيد خزان خشم القرية، كمترجم معتمد من اللغة العربية الى الايطالية، التي اكتسبها عبر تجربته عندما كان يعمل في احد بقالات احد الايطاليين في ارتريا. وقد كان شخصا عطوفا مع ابناء المنطقة ويحظى باحترامهم. وكان يقوم بين الحين والآخرى، مستفيدا من وظيفته المرموقة في الشركة بالتوسط لابناء المنطقة الراغبين في ل في خزان خشم القرية، ولم يكن يفشل في تحقيق ذلك، مما اكسبه ذلك المزيد من الاحترام والتقدير ليس في اوساط ابناء المنطقة بل ايضا في اوساط موظفي وعمال مشروع خشم القرية. الى درجة كان الكثيرون يعتقدون بان حقوص اذا رشح نفسه في الانتخابات المحلية فانه حتما سوف يفوز ويحذى بها. ولم تكن زوجته السيدة ترحس تختلف في دماثة الخلق عنه، اذ كانت هي الاخرى تحذى باحترام وتقدير سكان حي الري وهو احد الاحياء الراقية الذي تحفه الاشجار الباسقة من كل صوب.

كانت شركة تورنو الايطالية التي تقوم بتنفيذ بناء خزان خشم القرية تسعى جاهدة الى خلق علاقات احترام متبادل بينها وبين سكان المدينة بصورة عامة، ومسؤولي ومديري المنطقة. وكان مدخلها في ذلك هو تعيين احد موظفيها ليلعب دور المقرب بينها وبين السكان، فوقع الاختيار على حقوص ارعدوم للعب هذا الدور. فكان اول شئ قام به هو تأسيس مكتب مزين بالعديد من الصور والملصقات التي تحكي تاريخ منطقة البطانية وشخصياتها، وطريقة عيش قبائلها، والترابط الاجتماعي بين ابناء المنطقة، والعلاقة بالمناطق الاخرى. وشرع من خلال مكتبه هذا باللقاء بالعديد من الراغبين للعمل في مختلف اقسام الشركة في مجالات البناء والمكننة وحتى العتالة اي "الشحن والتفريغ".

وذاذ يوم وبينما العمل جاريا على قدم وساق في مشروع خشم القرية، قدم الى مقر الشركة بناء على موعد مسبق، وفد من اعيان المنطقة يقودهم الشريف الناظر محمود صالح وهو من ابناء المنطقة واحد اعمدتها الاساسية، وما ان التقوا بالمدير التنفيذي للشركة الايطالي السنيور روفائيل حتى رحب بهم احسن ترحيب، وقدم لهم ما طاب من عصائر الليمون، والقريب فروت، والبرتقال، والمانجو، وماذ من الحلويات المعلبة المستوردة من اسواق اوروبا.

كان السنيور روفائيل مرحبا بفكرة قدوم القوم للتعرف على طبيعة ل الجاري في الخزان، والحصول على دعمهم في الوقت الذي تحتاج فيه الشركة على تعاونهم البناء. وماهي دقائق حتى قدم للقوم برنامج زيارة السد. وعلى الفور قام القوم بتقديم ماكان لهم من اسئلة واستفسارات، بعد ان وعدهم السنيور روفائيل بالرد عليها بكل يسر عبر مترجم الشركة حقوق اعدوم، ليقول بعد ذلك:-

- تم الاتفاق على انشاء السد في العام 1960م. وحسب الخطة المرسومة فان شركة تورنو

الايطالية سوف تقوم في الفترة 1961-1964 ببناء وتشيد سد خشم القرية.

سأل الشريف الناظر قائلا:-

- ارجوا اعطاءنا صورة موجزة اذا امكن عن المشروع واين يقع على الارض؟.

على الرغم من ان السيد روفائيل كان متأكدا مما سوف يقوله، فانه لم يكن متأكدا من وقع وتأثير كلماته المترجمة على القوم فقال دون اي مبالاة:-

- المشروع يقع كما هو معروف او كما هو محدد في منطقة خشم القرية التي تبعد عن

العاصمة الخرطوم بحولي 560 كم. والخزان المنوي تشييده سوف يتغذي بصورة اساسية من

نهر عطبرة الذي يتميز بانحدار مياهه وسرعة جريانها، والتي تحمل في طياتها كميات كبيرة

تكاد تكون خيالية من الطمي والاشباب.

واضاف قائلا:-

- سوف يتسع خزان خشم القرية، بعد اكتمال بناءه وهو الذي سوف يشكل بحيرة كبيرة، لمليار

وربع المليار من الامتار المكعبة من المياه التي سوف يجلبها نهر سيتيت او عطبرة

المعروف في السودان.

تدخل احيد الاعيان وقدم سؤالا يفيد:-

- ماهو العائد لكل هذا ل الجاري؟ وماهي المكاسب المتوقعة من هذا المشروع؟

لم يتردد السنيور روفائيل وهو الخبير وعلى دراية تامة بسير المشروع سواء بما له من تجارب او ما

يتحصل عليه او يقدم اليه من تقارير واقعية يومية حول سير ل في مشروع خشم القرية فقال وهو واثقا:-

- المساحة المستهدفة بالزراعة في المشروع تبلغ اكثر من 250 ألف هكتار، ويبلغ الاحتياج الفعلي لري هذه المساحة حوالي مليار متر مكعب من المياه. والمشروع في حال اكتماله سوف يصبح صرحا او معلما اقتصاديا بارزا سوف يستفيد منه الاقليم الشرقي بصورة عامة، ومنطقة كسلا وضواحيها بصورة خاصة. كما ان المشروع عند اكتماله سوف يوفر طاقة كهربائية تقدر بـ 30 ميغاواط لعموم منطقة خشم القربة.

سكت السنيور روفائيل برهة، وبعد تفكير سريع اعطى فرصة لاحد المهندسين الزراعيين العاملين بالمشروع لاكمال ما بدأه من شرح حول المشروع وكيفية سير ل فيه. وكان الشخص المشار اليه هو الباش مهندس عثمان الفحل، الذي قال بعد ان تفحص كومة الاوراق التي يحملها:-

- انني سعيد للقائي بكم، واشكر السنيور روفائيل لاتاحتة لي هذه الفرصة لاتحدث اليكم واشرح لكم ما يتم من عمل في هذا المشروع وتوقعاتنا للمستقبل انشاء الله لهذا الشروع الحيوي.

واضاف قائلا:-

- المشروع مهم جدا وهو من احد المشاريع الزراعية الاستراتيجية الذي سوف يكون له مستقبل واعد. وفي هذه المنطقة المباركة تتوفر المياه التي تسقي الزرع والضرع وذلك بفضل نهر عطبرة الذي كان ولازال مصدرا مهما لثراء وغناء العديد من شعراء وعشاق المنطقة.

ادرك الفحل بان من الضروري العودة الى لب الموضوع والابتعاد عن الاسترسال في قضايا الغناء والشعر والعشاق مراعاة للعديد من الاعيان وعلى رأسهم حضرة الناظر الذي لم يستصغح ماسمعه عن العشق والعشاق، فقال الفحل:-

- معدل الامطار في هذه المنطقة لايتجاوز 250-300 م. اما التربة فهي طينية ثقيلة بنسبة 60% وسوف يبدأ اول موسم زراعي في العام 1964-1965 ونحن بانتظار هذا اليوم ونحن على احر من الجمر. وقد وضعنا كل امكانياتنا وقدراتنا لانجاح الموسم الزراعي الذي ننتظره. ومن المتوقع ان يستفاد من خزان خشم القربة في سقاية اكثر من 90 كم تقريبا، في ثلاث دورات زراعية، وسوف تكون النتيجة جني آلاف الاطنان من القمح والقطن، والذرة والبقول السوداني.

واضاف مسترسلا:-

- يهدف المشروع الى: 1- توطين اهالي وادي حلفا المهجرين، واهالي منطقة البطانية، وبعض القبائل الوافدة 2- استثمار مياه نهر عطبرة في زراعة مساحات واسعة من الارض الصالحة

للزراعة في المستقبل المنظور 3- زراعة محاصيل نقدية للتصدير تعود بالفائدة القصوى للاقتصاد الوطني 4- خلق فرص عمل جديدة لمزيد من السكان والوافدين.

ودون ان يتوقف واصل حديثه قائلاً:-

- ان عائدات محاصيل الدورات الزراعية سوف تعود مكسبا ضافيا للمزارعين، على ان تتحصل هيئة المشروع على رسوم المياه والادارة. كما ان الهيئة سوف تقوم بإقراض المزارعين، وسوف توفر لهم الوقت اللازم والضروري لسداد ما عليهم من ديون مستحقة، دون استغلال او ربح فاحش. كما ان هناك محاولات حثيثة لتشييد المباني وبيعها بأسعار معقولة ومناسبة للعاملين في المشروع، وفي حالات الضرورة لسكان المنطقة، وتشبيد المدارس والعيادات الصحية، وشق الطرقات وسفلنتها، وانهاء الدراسات والترتيبات لبناء وانشاء المصانع المرتبطة بالزراعة مثل مصنع السكر، والحليب ومشتقاته، وتعليب الفواكه والخضر. وسوف يكون الراجح الاكبر من كل ذلك ابناء هذه المنطقة بصورة اساسية.

اقتنع وفد اعيان المنطقة بما قدم لهم من شرح وافي. وما ان عادوا الى استراحة المشروع حتى فرشت موائد الطعام التي حضرها طباخي المشروع، والتي كانت تشتمل على العديد من اصناف لحوم المشويات والمقليات، والعديد من الاسماك خاصة اسماك نهر عطبرة، وكميات كبيرة من فواكه المشروع المختلفة. بعد الانتهاء من تناول وجبة الغداء، وغسل الايدي بالماء والصابون والتعطر، وتناول فناجين القهوة او الجبنة التي يفضلها معظم اهل شرق السودان، عبر القوم عن ابتهاجهم بالحفاوة التي استقبلوا بها وعلى كرم الضيافة التي لمسوها، وقدموا شكرهم يوق للسنيور روفائيل، ولكل العاملين في المشروع من مهندسين وعمال، وكتبة وطباخين. واجزلوا عميق شكرهم للدور الكبير الذي قام به حقوص ارفعوم بتعريفهم بمسؤولي وموظفي المشروع، وأكدوا له بانهم من المتابعين لما يجري من تطورات سياسية في ارتريا، وانهم بصورة او اخرى يؤيدون حق ارتريا في الاستقلال الوطني، وسوف يقدمون للثورة الارترية اي مساعدة تطلب منهم.

وفي النهاية عاد القوم مسرورين ومنشرفين الى مدينة كسلا.

#### (4)

لم يمض الوقت طويلا، حتى ظهرت وانتشرت العديد من الاشاعات حول وجود خلاف اساسي بين حركة تحرير ارتريا وجبهة التحرير الارترية. وقد كانت بعضا من تلك الاشاعات بفعل من قوى الاستعمار الاثيوبي، والبعض الآخر منها كان بدفع وتأييد ومباركة من اقطاب كلا الطرفين حركة تحرير ارتريا وجبهة التحرير الارترية، ضد بعضهما البعض.

وكالعادة وما ان التقى الصديقان الحميمان محجوب الجعلي وادريس محمد صالح في مقهاهم المفضل، مقهى الجعلي، واستقر كل واحد منهما في كرسيه حتى بادر محجوب بطرح السؤال التالي:-

- ماهي الاشاعات المنتشرة، وما هو مغزاها؟

رد ادريس قائلا:-

- تمثلت تلك الاشاعات بصورة واضحة في الاتهامات المتبادلة بالة تارة، وعدم الرغبة في خوض النضال المسلح من هذا الفصيل او ذاك تارة اخرى. وعلى الرغم من المحاولات الحثيثة من المؤيدين والمتعاطفين مع الثورة الارترية والراغبين في تطورها لاصلاح الوضع والعودة للوفاق، بذل ايضا العديد من ابناء ارتريا وبعض قيادات ل السياسي الارتري المخلصين، الجهد المقدر لرأب الصدع بين فصيلي الثورة الارترية. واطمأن الناس واستبشروا خيرا عندما انتشرت الاخبار التي كانت تفيد بوجود لقاءات مباشرة بين قيادات التنظيمين، سواء في المدن السودانية او الارترية الا ان كل ذلك لم يؤدي الى اي نتائج ايجابية، بل ازدادت الاتهامات وحالات التشكيك، وحملات التعبئة المضادة، حتى وصلت الامور باتهام البعض وبصورة صريحة بالخيانة العظمى.

تدخل محجوب قائلا:-

- وماذا كانت تفعل قيادات التنظيمين؟

رد ادريس على الفور قائلا:-

- كان هم القيادات منصبا في الحصول على اكبر عدد ممكن من المتعاطفين والمؤيدين، والتأثير عليهم بهدف افرغ التنظيم الآخر من مؤيديه وداعميه. كما استمر الصراع على اشده لكسب اكبر عدد ممكن من الذين يمكن ان ينخرطوا في ل العسكري المسلح خاصة بين اوساط من كانوا ملتحقين بالجيش السوداني او العاملين في الدوائر الحكومية في مختلف مدن السودان، خاصة مدن شرق السودان، لصالح هذا الفصيل او ذاك. واصبح الجندي

الارتري المنخرط في الجيش السوداني، اكثر من غيره، ضحية نزاع القيادات. واستخدمت ورقة الاتهام بالة للطرف المناوئ دون واعز من ضمير او اخلاق. وفي الواقع فقد كان سبق في ذلك حقيقة لقيادات جبهة التحرير الارتزية دون منازع. وبذلك انفتح الباب واسعا لاريك ل السياسي الارتري منذ بداية انطلاق حركة الثورة الارتزية سواء التي مثلت في حركة تحرير ارتريا او جبهة التحرير الارتزية.

واضاف قائلاً:-

- ومع انتشار الاشاعات بل الاتهامات المتبادلة، انصب جهد قيادات ل السياسي الارتزي، وبصفة خاصة قيادات المجلس الاعلي لجبهة التحرير الارتزية، في كيل العديد من الاتهامات التي لا سند لها ضد حركة تحرير ارتريا، مثل الادعاء بان الحركة لها ارتباطات مشبوهة ببعض الدوائر مثل الاستخبارات السودانية، والحزب الشيوعي السوداني. وان الحركة لا تؤمن باهمية الكفاح المسلح الارتري، بل على العكس منه تؤمن او تعطى الاولوية للعمل السياسي الهادف الي ايجاد تسوية سياسية مع اثيوبيا، وانها على اكثر تقدير لا تؤمن إلا بالثورة الانقلابية، اي القيام بانقلاب عسكري والسيطرة السياسية على ارتريا. بينما انصبت اتهامات قيادات حركة تحرير ارتريا بالادعاء بان قيادة جبهة التحرير الارتزية هي قيادات من ذوي الامتيازات القبائلية والاقليمية، وان همها هو الحصول على الاموال بمختلف الصور ولمختلف الاغراض. وانها تدفع لتكوين تنظيم ذي صبغة عشائرية طائفية ... وغيرهما من الاتهامات التي بدأت تنخر الجسم السياسي الارتري دون اي مبرر لذلك.

كان العمل او النشاط السياسي الارتري في السودان منصبا كواقع قائم في بعض مدن شرق السودان، وتحديدا في مدن بورت سودان، وكسلا والقضارف. وفي هذه المدن كان الارتريون يتقسمون بين من هو مؤيد لحركة تحرير ارتريا او تلك المناوئة لها جبهة التحرير الارتزية. وقد استفادت الحركة من وجودها الفاعل في تلك المدن من خلال القيام بل السياسي المؤثر في العديد من النوادي الثقافية، خاصة في مدينة بورت سودان، مثل نادي الموانئ، ونادي الموظفين، ونادي المريخ وحي العرب الرياضيين وغيرهما. ففي احدى امسيات شهر سبتمبر من عام 1963م كان البعض من ابناء ارتريا، الذين كانوا يتناولون شاي مابعد الظهيرة في نادي الموانئ الشهير في بورت سودان، منهمكين في مناقشة آخر تطورات الخلاف بين حركة تحرير ارتريا وجبهة التحرير الارتزية. أنبرى احدهم ويدعى قعص موسى وهو احد نشطاء حركة تحرير ارتريا فرع مدينة بورت سودان يخاطب جمع من رفاقه قائلاً:-

- وصلت الامور بيننا وبين مجموعة جبهة التحرير الارترية الى طريق الانهيار. واذا لم نقم نحن وعبر تعزيز العلاقات بين الارتريين، خاصة بين من هم اعضاء في الحركة والجبهة، فان الامور سوف تؤدي لا محالة الى تمزيق الوحدة الوطنية الارترية، وهذا ما تسعى اليه للأسف الشديد قيادات المجلس الثوري لجبهة التحرير الارترية.

اهتم الحضور بما طرح، فلم يكن امام حامد أسناي وهو ايضا احد النشطاء السياسيين للحركة في بورت سودان، سوى القول:-

- لا شك، الخلاف لا يولد سوى مزيدا من الخلاف، واذا لم يعالج بصبر وحكمة، فان نتائجه خاصة على اصحاب قضية وطنية سوف تكون كارثة محققة. ان المشكلة برمتها تقع في تقديري ووفقا لما نلاحظه من تصرفات وممارسات حمقاء على تنظيم جبهة التحرير الارترية. فهي بيدها الحل لرأب الصدع وحل الخلاف. ومتلما قلت فان معالجة الخلاف سوف يخدم حق شعبنا الارتري في ل السياسي الهادف.

اراد احد الحاضرين ويدعى محمود دبكت وهو ايضا احد نشطاء حركة تحرير ارتريا في منطقة طوكر وضواحيها مواصلة الحديث فقال:-

- نحن لم نتعرض حتى الآن باي سوء لجبهة التحرير الارترية، بل على العكس من ذلك فنحن في طوكر على سبيل المثال نقدم لاعضاء الجبهة كل دعم ومساندة، خاصة عندما يتعرضون لمضايقات رجال أمن واستخبارات المنطقة، ونعمل على انقاذهم، وعدم تعريضهم للمساءلة سواء من رجال الشرطة السودانية او غيرهم. والواقع فان قيادة الجبهة هي التي تحاول التعرض لنا عبر التشكيك في ولاءاتنا للوطن والمواطنين. بل ان بعضا من متعصبي الجبهة يسعون للتحرش بنا وتوجيه الشتائم والسباب لنا ولأسرنا.

ساد المكان صمت مطبق، اذ كان الكل يدرك بان المعتدين ما هم سوى بعض المتشجنين والمتعصبين من اعضاء جبهة التحرير الارترية، وليس كل الاعضاء. كما كانوا يعرفون او على علم بالصدمات التي كانت تقع بين بعض اعضاء حركة تحرير ارتريا وجبهة التحرير الارترية، خاصة بعد ان وصلت الامور الى استخدام العصي والسكاكين والحجارة في العديد من مدن شرق السودان، خاصة مدن بورت سودان، والقضارف وكسلا.

تدخل محاري يوسف وهو صديق مقرب لمحمود دبكت والذي اتى حديثا من ارتريا قائلاً:-

- من العيب حقيقة ان يلجأ الناس إلا استخدام المكاييد السياسية، خاصة نحن الذين نعتقد بان لنا قضية وطنية عادلة، ونلتزم بمفاهيم سياسية تهدف الى تحقيق حق الشعب الارتري.

واعتقد بان ليس من الضروري مجارات العابثين والمتعصبين سواء كانوا اعضاء في حركة تحرير ارتريا او جبهة التحرير الارترية. لأن التعصب لا يؤدي كما نعلم الى اي نتيجة ايجابية، بل تكون النتائج وبالا على الكل. وعلينا حث الناس سواء الملتزمين او غير الملتزمين في كلا التنظيمين، حركة تحرير ارتريا وجبهة تحرير ارتريا، الالتزام بالهدوء وعدم الانجرار وراء تحرشات وتخريصات المتعصبين في كلا التنظيمين، ول على اعادة الثقة بين المواطنين.

على الرغم من المرارة التي كان يحس بها رجل الشارع الارتري العادي من جراء حملات التشهير والتشويه المتبادلة بين كلا التنظيمين، فقد كان هناك اناس عقلاء يدفعون قدر استطاعتهم للعمل على ازالة كافة انواع الاحتقانات التي تظهر بين الحين والآخرى، والتي لبعضها صبغة تنظيمية متعصبة، ول على ايقاف الصدمات المتبادلة، والانفتاح على البعض، ول على خلق المناخ الصحي الذي يمكن من خلق قاعدة للحوار على طريق حلحلة الاشكالات الارترية-الارترية.

كان التنظيمان يناوران ويتلاعبان ضد بعضهما البعض. وعلى الرغم من بعض الجهود التي كانت تبذل من نستتيري كلا الطرفين لانهاء الخلافات وحسمها بما يخدم المصلحة الارترية العليا. فان قيادة كلا التنظيمين وبصورة خاصة قيادة جبهة التحرير الارترية ممثلة في مجلسها الاعلى، كانا لا يعيران الاهتمام المطلوب للمناشدات التي كانت تقدم من قبل الداعمين والمؤيدين لارتريا من قيادة ل السياسي السوداني، والتي كانت تطالب بايقاف التحرشات المتبادلة.

اراد محاري يوسف بالاضافة الى مقاله، لفت المزيد من انتباه الحاضرين فقال:-

- نحن لايساورنا الشك على ضرورة ل بصورة مشتركة مع اخوتنا في جبهة التحرير الارترية. وان من المهم لنا ان نكون متعاونين مع بعضنا البعض، ووضع الاعتبار لكافة المناشدات التي يقوم بها اصدقائنا بهدف اصلاح البين، خاصة مايقوم به قادة الحزب الشيوعي السوداني، وبعض قيادات ل السياسي والنقابيين المنضوين في العديد من احزاب الديمقراطية الاولى.

ودون الرغبة في التوقف اضاف ما يوضح فهمه يق للاحداث التي تواجه ارتريا فقال:-

- علينا كشف وتعرية الممارسات المشينة المتعارضة ومصالحة الثورة الارترية، ليس تلك التي يقوم بها افراد من جبهة التحرير الارترية، بل ايضا ممارسات المرتبطين بدوائر المخابرات الاثيوبية وايضا السودانية، الهادفة الى تشويه حقيقة القضية الارترية، ومايقومون به من تبرير للخروقات الاثيوبية في حق الشعب الارتري والتي تخدم بطبيعتها في المحصلة النهائية

التوجه الاستعماري الاثيوبي بكافة مضامينه. وعلينا كأناس نتحمل المسؤولية التاريخية، ونمارس ل السياسي الحق، تجاوز مايقوم به بعض المخدوعين من اعضاء جبهة التحرير الارترية.

كانت قيادة جبهة التحرير الارترية ممثلة في المجلس الاعلى تقف بصورة واضحة ضد كل توجهات حركة تحرير ارتريا، لا لسبب سوى طغيان المنافسة الغير شريفة التي تبنتها كمنهج وطريق لمحاربة الحركة. ولم تتورع في خلافاتها من التشبث بالتأثير القبائلي المناطقي الذي يستند على روح الحياة السياسية المزرية لفترة الاربعينات. لقد حاولت قيادة جبهة التحرير الارترية وسعت كثيرا، عبر استغلال حالة الاربعينات لعزل حركة تحرير ارتريا وفرض المقاطعة عليها، ومع انها لم تتجح في ذلك، الا انها لم تتورع من استخدام اي شئ ييشين ويشوه الحركة، حتى وصلت بها الامور الى عدم السماح لاعضاءها باجراء اي تعاون او لقاء او حتى الاشتراك في المناسبات الاجتماعية ذات الطابع الشخصي الاجتماعي (الوفاة، الزواج، السماية) التي تجمعهم مع من له صلة قريبة او بعيدة بحركة تحرير ارتريا. كان الكل يعرف مثل هذه الحقائق في سير العلاقات بين التنظيمين حركة تحرير ارتريا وجبهة التحرير الارترية فأنبىرى حامد أسناي لاضافة بعض المعلومات في بعض المسائل المتعلقة بممارسات قيادة جبهة التحرير الارترية وموقفها المتشنج تجاه حركة تحرير ارتريا فقال:-

- كانت جبهة التحرير الارترية تعتقد بان اي عمل سياسي تقوم به حركة تحرير ارتريا، خاصة في المنطقة العربية، هو بمثابة التحدى لها. وبالتالي كانت ترفض الاشتراك في اي اجتماعات او حوارات تشترك فيها قيادات من حركة تحرير ارتريا في اي محفل اقليمي او دولي. كما كانت قيادة الجبهة ترفض بشكل قاطع الاشتراك في اي مناسبة تحضرها حركة تحرير ارتريا في مناسبات او اجتماعات سياسية نقابية عربية كانت او دولية مثل اجتماعات الاتحادات العربية، او الآسيوية. ولم يكن همها في اي تحرك سوى ل على افشال او محاصرة اي جهد تقوم به حركة تحرير ارتريا يفيد ويدعم قضية الشعب الارترى.

واضاف قائلا:-

- لم تكن قيادة جبهة التحرير الارترية ترتاح لاي تحرك سياسي تقوم به حركة تحرير ارتريا، والحقيقة هو ان جبهة التحرير الارترية كانت منذ اعلان قيام نشاطها في بداية الستينات، وبفعل المميزات التي كانت تتمتع بها مثل النشاط الحركي الفاعل وصرف الاموال وتبذيرها دون حسيب او رقيب، بالقادرة على التأثير في الرأي العام في المنطقة العربية خاصة في

سودان نظام الجنرال عبود، باتجاه تشويه سمعة حركة تحرير ارتريا، والباسها ثوب الشيوعية، والقومية العربية.

لم تكن العلاقة بين التنظيمين بالعلاقة النضالية الرفاقية التي تحتم على تشجيع ودعم ل المشترك الموجه ضد عدو مشترك. بل اتسمت العلاقة منذ بداية الستينات بالطابع العدائي حتى امتزج فيها الشخصي بالعام. فقد كان كل طرف يبذل جهده لمحاصرة الطرف الآخر. واذا تمكن الطرف المعنى من اقصاء مناوئته حتى لو استخدم الاساليب الدنيئة مثل الوشاية، التحريض، الادعاء زورا وبهتاناً، وممارسة الحرب النفسية، وحتى الة والارتزاق، فانه يعتبر نفسه ليس الخاسر الاكبر بل المنتصر الظافر على الطرف الآخر. وكل ذلك لم يكن إلا انعكاس ومواصلة للصراع الذي كان يستمد روحه وقوته من تأثيرات واقع التخلف الاجتماعي والسياسي الذي كان سائداً في الاربعينات.

وللحقيقة فان سبب هذا الترددي وان كان فيه لقيادة حركة تحرير ارتريا نصيباً معيناً، فإن القدر الاكبر يقع لا محالة على قيادات جبهة التحرير الارترية وبصفة خاصة على المجلس الاعلي الذي كان يمثل القيادة العليا للجبهة.

اقتنع الكل باهمية مدار من نقاش واستفادوا من المعلومات التي تداولوها، واتفقوا في النهاية الى لقاء قادم، مودعين ومتمنين لبعضهم البعض بحالة افضل.

## (5)

في مارس من عام 1964م، تناقلت الاخبار عن وقوع معركة حربية في منطقة تقوريا، التي تقع غرب مدينة أغوردات، ولا تبعد عنها اكثر من مسافة نصف يوم مشيا على الاقدام. وقد كانت لمعركة تقوريا وقعا كبيرا لدى المواطنين في داخل ارتريا او السودان. وهي اول معركة مباشرة تنشب بين وحدات من الجيش الاثيوبي المطعمة ببعض وحدات البوليس الارتري، ومناضلي ارتريا.

وفي هذه المعركة استشهد 19 مناضلا علق جثامينهم في مدينتي أغوردات وبارنتو. وقد كانت سياسة تعليق جثث المناوئين للمستعمر الاثيوبي، احدى الاساليب القاسية المقتبسة من التقاليد الفاشستية في عهد الاستعمار الايطالي. وقد كان الهدف منها ادخال الرعب والفرع في اوساط المواطنين بصورة اساسية، واعتبار ذلك درسا لكل من يحاول التجرد لمعارضة الوجود الاستعماري الاثيوبي في ارتريا.

ما ان عم خبر معركة تقوريا التي تناقلتها سريعا السن جموع ابناء ارتريا خاصة في السودان، حتى ازدحم مقهى محبوب الجعلي على غير العادة بالعديد من المتعاطفين مع الثورة الارترية، سواء من هم اعضاء في جبهة التحرير الارترية او اعضاء حركة تحرير ارتريا، وكل منهم يبحث عن مايشفي غليله وتعطشه لمعرفة حقيقة ما يدور من معارك في تقوريا وضواحيها. وضاق المكان ، وانعدمت كراسي الجلوس فيه، ليصل الامر حد ان يفترش البعض ارضية المقهى. وراح محبوب الجعلي يلف ويدور حول المكان، يلقي كلمة لهذا ويستمع الى اخرى من ذلك. وما ان لاحظ صديقه ادريس قادما اليه حتى انفرجت اساريره واسرع اليه وهو يقول:-

- ماذا جرى ويجرى بحق الله العظيم؟ انني اسمع بان هناك معارك طاحنة تدور بالقرب من مدينة أغوردات. وهناك ايضا خبرا يفيد بان المعارك لم تنحصر في أغوردات وضواحيها بل تشتعل الآن في هيكوتة وضواحيها، ولا يستبعد ان تندلع ايضا في مدينة تسني.

ابتسم ادريس فهو لا يستطيع كبت تعابير الفرح في وجهه عندما يسمع خبرا يتعلق بالمعارك التي تدور رحاها بين الحين والاخرى في ارتريا. وادرك على الفور مدى اهمية معركة تقوريا وما سوف تحدثه من تأثير معنوي كبير على الارتريين، فقال:-

- نعم لقد خاض ابطال ارتريا معركتهم الجسورة في تقوريا، حسب ما علمته من بعض الاصدقاء الذين علموا هم ايضا بدورهم من القادمين من منطقة الحدود السودانية الارترية. وفي الواقع فان هذه المعركة هي من ابرز ماخاضه ابناء ارتريا ضد المحتل الاثيوبي حتى يومنا هذا. وهي في الحقيقة توضح مدى صلابة وجسارة أولئك المحاربين، الذين لم يكونوا اكثر من سبعين او ثمانين شخصا، ولا تتجاوز اسلحتهم الحديثة بعضا من بنادق أبو خمسة

الانجليزية الصنع، وبرين (رشاش) انجليزي الصنع ايضا اتى به جنديا ارتريا كان يخدم في بعض وحدات الشرطة الارترية في مدينة أغوردات. بينما كانت الوحدات الاثيوبية التي حاولت القضاء على المحاربين دون جدوى، وحدات كبيرة مجهزة باحدث البنادق والرشاشات التي قدمتها بريطانيا للامبراطور هيلي سيلاسي.

واضاف قائلاً:-

- كان قائد تلك المعركة حسب ما يروى هنا في كسلا احد قادة فصائل جبهة التحرير الارترية ويدعى محمد على ابو رجيلة. وقبل بدء المعركة كانت بعض من وحدات الجيش الاثيوبي تجوب وتفتش منطقة تقوريا وضواحيها بحثا عن من كانت تصفهم "بقطاع الطرق" أو "الشفة". وقد كان الهدف من تلك المعركة في اقل تقدير حسب ما يروى ايضا، انزال اكبر الخسائر بالمقاتلين الارتريين، او تضيق الخناق عليهم واجبارهم لإخلاء الطريق الذي يربط مدن منطقة بركة بعضها ببعض. وقد استفادت الحكومة الاثيوبية الاستعمارية من الخلاف الناشب بين فصيلي الثورة الارترية، بين حركة تحرير ارتريا وجبهة التحرير الارترية، والذي لولاه، اي لولا الخلاف الارتري - الارتري لما تجرأ من خوض معارك واسعة ضد المقاتلين الارتريين.

تدخل محجوب الجعلي سائلاً:-

- ماهو في تقديرك مغزى عملية او معركة تقوريا ؟

رد ادريس محمد صالح قائلاً:-

- معركة تقوريا هي اول واكبر معركة يخوضها مقاتلي ارتريا ضد الجيش الاستعماري الاثيوبي حتى هذه اللحظة. والواقع فقد اوضحت هذه المعركة مدى قدرة المقاتلين الارتريين من التصدي للامكانات العسكرية الاثيوبية الواسعة، وامكانية انفتاح الطريق لخوض معارك قادمة، ليس في منطقة بركة بل ايضا في كل المناطق الارترية. وقد كانت المعركة دعاية كبيرة تصب في مصلحة مناضلي ارتريا، بصرف النظر عن الخسائر التي مني بها الثوار.

لم يتمالك محجوب الجعلي اعصابه فقال وهو يريد المزيد من المعلومات قائلاً:-

- يقال بان خسائرننا في المعركة كانت كبيرة، ليس هذا فحسب، بل يقال ايضا بان الجيش الاثيوبي علق العديد من جثامين الثوار في العديد من المدن. وهذه ظاهرة لم ترتكب حسب علمي حتى في الحرب العالمية الاولي او الثانية. فما هي حقيقة ما قيل حول الجثامين؟

رد ادريس قائلاً:-

- نعم لقد تفتقت عقلية السلطة الاستعمارية الاثيوبية لتمارس عمل همجي مثل تعليق 19 جثة تعود لمقاتلي الثورة في مدينتي أغوردات وتسني، وذلك بهدف خلق حالة من الذعر في اوساط المقاتلين وجماهير ارتريا المناضلة. وقد ذاع خبر تعليق الجثامين في كافة انحاء ارتريا، لتتعمق الفجوة بين الشعب الارتري دون استثناء وبين مستعبيه من الاثيوبيين.

واضاف قائلاً:-

- كانت معركة تقوريا حدثا هاما رفع من معنويات الارتريين. وأثر سلبا على قوى الاستعمار الاثيوبي بكل ما يمثله من ثقل سياسي. كما ان المعركة قد افادت جبهة التحرير الارترية في رفع رصيدها المعنوي لتستغله في صراعها مع حركة تحرير ارتريا. وترسيخ مفهوم ان الحركة لاتؤمن بالفعل الثوري بقدر ماتؤمن بالتنظير السياسي والمحااجة. ومن ناحية اخرى فقد اوضحت معركة تقوريا مدى الامكانية المتاحة لاحقاق الحق الارتري، وتحقيق مبدأ ارتريا للارتريين.

طرح محجوب الجعلي سؤالاً كان ينازعه منذ ان علم بالمعركة يفيد:-

- كيف يمكن ان يبرر الاثيوبيون مدى قدرة مناضلي ارتريا في المواجهة؟

رد ادريس بعد ان ادرك مغزى السؤال قائلاً:-

- لا شك، لقد سقطت تماما ادعاءات اثيوبيا، التي تفيد بان ما يتم في شمال اثيوبيا ويقصدون بذلك ارتريا، ما هو سوى فعل يقوم به بعض قطاع الطرق، وبعض الذين فقدوا مكاسبهم وامتيازاتهم من الارتريين. واتضح للرأي العام الاقليمي والدولي، خاصة لؤلئك الذين كان من المفترض ان يحملوا مسؤولية الحفاظ على قرار الاتحاد الفيدرالي بين ارتريا واثيوبيا الذي اصدرته بل تبنته الأمم المتحدة، والدول العظمى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية، اعتبار ان مايجري في ارتريا ما هو سوى صراع بين طرفين الأول يطالب وينادي بحقه في العيش بكرامة وفقا لميثاق الأمم المتحدة ممثلا في ارتريا، وطرف معتدي ممثلا في اثيوبيا يسعى وبصر على مواصلة سياسة الحاق ارتريا بأثيوبيا، ويستخدم كل انواع العنف لتحقيق اهدافه الاستعمارية.

واضاف قائلاً:-

- معركة تقوريا والتي لم يتوقع الكثيرون عن ما يمكن ان تسفره من نتائج، هي في الواقع كانت  
وجهت لجدار الصمت الاقليمي والدولي تجاه خروقات نظام هيلي سيلاسي. ووضحت  
بعفويتها وبراعتها بأن لاشيئ يعلو على الحقيقة.  
انصرف ادريس وصديقه محبوب الجعلي كل الى عمله على أمل اللقاء مرة اخرى.

## (6)

حاول ادريس مرارا الحصول على عمل ثابت يدر عليه دخل يسير به حياته وحياة أسرته الصغيرة. ومن اجل ذلك فقد عمل في العديد من مرافق الاعمال مثل تجارة المفرق للملابس المستعملة في ارضية سوق هيكوتة في مدينة كسلا، وتارة عمل ايضا في احدى البقالات التي تعود لبعض الارتبيين يبيع ويشترى فيها المواد الغذائية، وعمل كذلك دون اي خجل كعامل تفريغ وشحن في محطة قطار مدينة كسلا، كما لم يتورع ايضا في افتتاح احدى الاكشاك التي تباع الفول والطعمية. الا ان كل ما كان يقوم به لم يكن الا بصورة مؤقتة اذ لم يفلح في اي عمل دائم، وهذا ما كان يعاني منه لفترات زمنية متعددة. وذات مساء وكالعادة وبينما كان يرددش مع زميله محجوب الجعلي اراد ان يبوح بما لديه من هموم فقال:-

- لا اخفي عليك، فانني والاسرة ومنذ فترة ليست بالقصيرة نكاد نعيش على الكفاف. فانا لا املك عمل ثابت يمكن ان يقيني من العوز، ولدرء هذا ومن اجل الحصول حتى على عمل مؤقت وهذا مالايتوفر في الغالب، اقوم منذ الصباح الباكر، وقبل بزوغ الفجر في البحث عن عمل، فأطوف شوارع الاسواق المحلية، ومقاهي الالبان والاطعمة بحثا عن عمل اسد به حوجتي، فتارة اتحصل عليه، وفي اوقات عديدة لا يسعفني الحظ فأعود في منتصف النهار خائبا دون اي نتيجة. ومع ذلك فانا شخص مؤمن واحمد ربي باستمرار على نعمتي الصحة والعافية التين وهبني اياهما. واتمسك بتشبث بالصبر لانه مفتاح الفرج.

تأثر محجوب الجعلي بما سمعه، ولم يكن له من بد سوى طمئنة صديقه ادريس حتى يجعل الله له مخرجا فقال:-

- اننا نعيش كما هو ملاحظ في وضع اقتصادي متردي. فأنت ترى ماوصلت اليه اوضاعنا بعد استيلاء العسكر على زمام امورنا. فنحن ومنذ العام 1963م نعيش حالة مزرية لم تمر علينا ولا على آبائنا او حتى اجدادنا من قبل. فلا اعمال، ولا استقرار ولا امن في ربوع بلادنا في هذه الايام. وماعلينا سوى الصبر كما قلت فهو مفتاح الفرج.

رد ادريس قائلا:-

- لاعليك يا صديقي، فأنا لازلت في صحة جيدة، واستطيع القيام باي عمل. وكل الذي كنت اقله فهو لا يتعدى محاولة البوح بما يدور في خلدي.

تدخل محجوب الجعلي ليقول:-

- انت لا تعمل منذ شهر تقريبا وانني ادرك الحالة التي تعيش فيها. ومع ذلك فانني قد قررت يوم امس دون ان استشيرك، بان نذهب في اي يوم تريده الى السوق لشراء بعض المواد الغذائية مثل السكر والدقيق والبن وحب الشاي وخلافه لي ولك. وبعد ذلك يفرجه الباري الذي لا ينسى عباده الصالحين.

بدت امارات الارتياح على وجه ادريس فسرعان ما رد قائلا:-

- انا لست في الحديدية او على البلاطة كما يقول اخوتنا في شمال الوادي. وكل الذي كنت اقصده هو انني لم اتحصل على عمل ثابت.

ازدادت الاوضاع ضيقا في السودان، وانصبت اهتمامات الناس في البحث عن لقمة عيش عليهم يسدون بها افواه ابناءهم الجائعة. ولم يكن ادريس يختلف في شئ عن اقرانه في مثل هكذا اوضاع. واصبحت الحياة يوما بعد آخر تشدد الخناق عليه، حيث ان الاعمال المؤقتة التي كان يقوم بها، والتي كانت بدورها تساعده لتجاوز حاجته الماسة بدأت هي الأخرى تختفي بل وتعدم.

ولم يكن لادريس سوى التفكير مليا في العودة الى ديار اهله، اي العودة الى المكان الذي اتى منه. وبدأت التخيلات تتراقص مع الايام امام عينيه. فهو كان يرى ويعتقد جازما، بان الاوضاع في ارتريا سوف لا تكون بالسيئة اكثر مثلما هي في السودان. وان من الافضل له، ومهما كانت الظروف العودة الى ارتريا والاستقرار فيها بدلا من حياة الغربة والبهدة في السودان.

وذات مساء وبينما كان مستلقيا في سرير او عنقريب داره اتت اليه السيدة زوجته فاطمة دون سابق انذار، وسرعان ما جلست بالقرب منه، وبدأت تفرك اصابع قدميه لتقول:-

- اراك هذه الايام على غير عادتك. فأنت لم تعد تواظب على عملك، ولا ادري سببا لذلك وانا قلقة للغاية ولا ادري ما يجب ان اقوم به.

لم يتوقع ادريس مدى القلق الذي تعيشه زوجته، ودون اي تفكير مسبق قال:-

- اوضاعنا قاسية يافاطمة ولسنا فقط المعانين من تردي الاوضاع، فهناك العديد من زملائنا واقربائنا يعانون من رداءة الاوضاع سياسية كانت او اقتصادية هنا في السودان. لقد بدأ الناس يعانون من تأثير ووطأة البطالة عليهم. وينطبق هذا ايضا على العديد من ابناء هذا البلد المعطاء، من امثال صديقنا وحبينا محجوب الجعلي. فهو ايضا ليس بالقادر حتى على تسديد اجرة العامل الذي معه في المقهى الا بشق الانفس، كما انه يعاني من ارتفاع اسعار المواد التي يشتريها مثل السكر والبن والزنجبيل.

صدمت السيدة فاطمة بما سمعته. فهي لم تتوقع ان تضطرب احوال الناس في كسلا. ولم تتصور ان يأتي اليوم المشؤوم الذي سوف يعاني منه مواطني وابناء السودان. وللترويح عن زوجها قالت:-

- سوف لا تستمر حالة النكض التي يعيشها العديد من اهالي كسلا، ونحن جزء منهم. بل سوف تتفرج انشاء الله وعلينا تحمل الأسوء، فنحن اصحاب ايمان بالله ولا يصيبنا الا ماكتب لنا.

الا ان ادريس لم يوافقها اذ قال سريعا:-

- الاوضاع يافاطمة هي نتاج للتردي الاقتصادي، وسوء الادارة والتخطيط الذي يعاني منه السودان. وهذا راجع لسياسات التخبط وانتشار رقعة الفساد الاداري والمالي في العديد من المرافق الحكومية ومؤسسات الانتاج لهذا البلد.

واضاف قائلا:-

- ولادري إلا متى سوف تستمر الاوضاع في التردي.

ادركت فاطمة بان اليأس قد دب في نفسية زوجها. ودون اي تفكير مسبق قالت:-

- لماذا القلق ووجع القلب. فنحن أناس بسطاء، ومطالبنا وحتى مطالب أبنائنا ليست بالمعقدة التي تتطلب ان نحرق من اجلها مالنا من اعصاب. فالأمور كما قلت سوف تتفرج، ولاداعي لمزيد من القلق.

تدخل ادريس ليقول:-

- لاعليك يافاطمة فنحن لسنا افضل من غيرنا. وسوف لن يصيبنا مكروه او غيره الا ما كتب علينا.

وما ان لاحظت بان زوجها ينظر اليها بشبق واضح حتى إرتسمت على وجها إبتسامة ذات مغزى. وما هي لحظات حتى احست وهو يحتضنها في صدره المتلج الذي ارتمت فوقه بقشعريرة تدب في جسمها من اخمص قدميها حتى فروة رأسها. ودخلت في لذة النشوة المحببة اليها والتي افتقدتها لشهور عديدة، لتكون النتيجة ممارسة ما ارتضاه بني البشر نساءهم ورجالهم، دون ان يلحظهما أبناءهما منصور وزينب.

في صبيحة اليوم التالي، وبعد اداء صلاة العصر، توجه ادريس كالعادة الى مقهى صديقه محجوب الجعلي الذي ما ان شاهده حتى جلب معه كوبيين من الشاي، قدم احدهما له، وقال على الفور:-

- علمت من بعض اصدقائنا بان الوضع الاقتصادي في البلاد بدأ يؤثر على اداء حكومتنا العسكرية، حكومة الجنرال ابراهيم عبود. وكننتيجة لذلك بدأت بعض الاصوات داخل وحدات القوات المسلحة السودانية ترتفع وتطالب بضرب الفاسدين والمفسدين بشدة ودون رحمة، سواء المعشعشين في القوات المسلحة او المرافق الحكومية الاخرى، ومواقع الانتاج الاساسية.

سكت محجوب الجعلي للحظة، وبعد ان احس بان صديقه ادريس مهتما بما سمعه، قال على الفور:-

- نعم ياادريس، الاوضاع عندنا ملخبطة ما بعدها لخبطة. ويؤكد العارفون بان تردي الاوضاع الاقتصادية سوف تترتب عليها وتتولد من خلالها حدوث انفجار شعبي يمكن ان يطيح بحكومة الجنرالات هذه في اي لحظة وفي اي ساعة ودون سابق انذار.

واضاف قائلاً:-

- التغيير عندنا هنا في السودان آتيا لا محالة. لكن الذي لا يمكن التنبئ به هو نوع طبيعة التغيير الذي سوف يحدث. فهل سيكون التغيير من خلال الاعتماد على واقع التخلف الاجتماعي، ام سوف يكون التركيز على اصلاح شؤون البلاد والعباد بما يحقق المصلحة العليا.

اراد ادريس بعد ان بقي صامتا التحدث فقال:-

- الاوضاع في السودان كما الاحظها لا تطمئن. فالبطالة عمت كل شيء، حتى انها اثرت على المقتدرين من كبار وزعماء القوم الذين كان لا يشق لهم غبار. أمل ان تتحسن الاوضاع في السودان، وهذا بالتأكيد سوف يؤثر ايجابا على ارتريا.

واضاف:-

- لا اخفي عليك لقد قررت الرحيل.

كاد قلب محبوب الجعلي ينزع من مكانه، ودون ان يدري قال:-

- الرحيل ... ماذا تعني بذلك؟

رد ادريس قائلاً:-

- الرحيل الى الأرض التي اتيت منها... اقصد العودة الى الوطن الذي اشتاق اليه كثيرا.

سكت محبوب الجعلي، وكأنه يريد بذلك الاحتجاج على ماتقوه به صديقه، الا انه سرعان ما عاد ليقول:-

- ايمكنني ان اعرف السبب الذي يدعوك للرحيل؟ هل انت متضايق الى حد انك لا تطيق

العيش معنا في هذه البلاد؟.

رد ادريس قائلاً:-

- بالعكس، فقد سعدت كثيرا لوجودي بينكم. فأنتم من كنتم لي السند والصديق. الا انني ارى

بان الاوضاع هنا في السودان سوف لن تريحني بقدر ماسوف ترهقني وتهد من حيلتي. نحن

هنا وان كنا نحس بالامان، الا اننا غير قادرين لملئ بطوننا واطعام ابناءنا، وهذا شيء لا

يطاق.

واضاف:-

- بالرغم من المرارة التي احس بها عندما افكر بالرحيل والعودة للوطن، بقدر ما ادرك بان الحياة سوف لن تكون بالمريحة لي هنا في السودان. اذ انني ومنذ البداية كنت اعلم بان وجودي في هذه البلاد وسط اهلها الميامين هو ظرف مؤقت لا محالة سوف يزول بزوال السبب، ومثلما يقال فان الانسان لا قيمة له بدون وطن. لذلك فانني افضل الذهاب الى مسقط رأسي وتدبير امري. وآمل ان لا اضطر للعودة مجددا للجوء وحياء الغربية. وعلى وم اتمنى ان نكون على صلة مباشرة ودائمة بكل الاصدقاء والمعارف، والاحباء هنا في السودان، وتحديدا هنا في مدينة كسلا.

حاول محجوب الجعلي ثني صديقه ادريس من العودة الى ارتريا، وقدم له العديد من المقترحات من ابرزها ان يشركه في ادارة المقهى ويتقاسمون ما يتحصلون عليه من عائد. ليس هذا فحسب بل اقترح عليه ان يقوم بتسديد ايجار منزله الكائن في حي الختمية، ويسدد فواتير الكهرباء والماء. لكن كل محاولاته باءت بالفشل، ولم يستطع تليين او تطويع صديقه ادريس.

اقنع ادريس أم عياله السيدة فاطمة بقرار العودة الى ارض الاجداد، وسدد كل الديون المترتبة عليه سواء كانت ديون البقال، او اللحام، او الخضرجي، وزار قبر والدته السيدة ملوك وقرأ الفاتحة عليه، وعلى بقية اصحاب القبور واتصل بشق الأنفس تلفونيا بصديق عمره حقوص ارعدوم وابلغه قرار مغادرته الى ارتريا. وخلال ايام معدودات لم تتجاوز الاسبوعين قام ادريس ببيع كل ماكان يملكه من اثاث منزلي وادوات الطبخ في حراج سوق هيكوتة، واشترى بعض الملابس التي من الضرورة تقديمها كهدايا لاهله واصدقائه في البلد، وودع كل اصدقاءه واحباءه وعلى رأسهم بالطبع صديقه العزيز محجوب الجعلي، واستأجر جملين حملهما بكل ما يملك، وتوجه برفقة زوجته وابناءه الى الحدود متجها الى ارتريا.